اجتهادات
الموروثُ الثقافى ..

إن لم تكن إعادةُ قراءة التاريخ ضرورةً لفهم ما حدث فى حقبةٍ أو أخرى وتقييم المُختلف عليه خلالها فى ضوء معارفٍ ومناهجٍ جديدة،

■فهى أكثر من ضروريةٍ لاستخلاص الدروس والعبر

وهذا هو مصدرُ أهمية كتاب الباحث والوزير العراقى د. على الدباغ (الدين والاستبداد – المصادر الدينية للاستبداد). ينطلقُ الدباغ فى دراسة هذا الموضوع الحساس من إعادة تأكيد أن أشكال الحكم ونظرياته فى تاريخ المسلمين صنعها البشر، وتنتمى لأزمنتها وأمكنتها.

■فما هى إلا اجتهاداتُ ومدوناتُ فقهيةُ مُقدَّرة، ولكنها مرتبطةُ بظروف زمنها، ولا يمكنُ استنساخها فى عصرنا

ومما يثيرُ التفكير ملاحظة المؤلف المهمة أن أشكال الحكم ونظرياته تلك لم تسهم بأى مقدارٍ فى التراكم المعرفى للعالم، بخلاف إسهاماتٍ إسلامية أخرى فى الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والفلسفة كان لها أثرُها فى هذا التراكم. فلم يكن فى تاريخ المسلمين ما تُعدُ إضافةً تُفيدُ فى تطور الاجتماع السياسى فى العالم، بل ما حدث كان العكس إذ حاولت البلدانُ الإسلامية محاكاة تجارب ونظريات تطورت فى دولٍ أخرى. وهذا أحد العوامل التى قد تُفسَّرُ الفجوة بيننا وآخرين فى عالمنا الراهن. ففى الوقت الذى أخذ العالم فى تقنين مبادئ احترام

■الآخر وعقائده وأفكاره وجنسه ولونه، مازال مسلمون يبحثون عما يُفرَّق بينهم برغم أن الإسلام هو دين الرحمة والتسامح

وبناء على ذلك، يجادلُ الدباغ بأن بلادنا لن تخرج من أزماتها ما لم تصل إلى معادلة حكمٍ مُستقرةٍ وإلى منهجٍ حديث لا يتخاصمُ مع الدين

■والموروث الثقافى بل يتعاملُ معهما برؤى منفتحة وعقلانية، سعيًا إلى الخلاص من أحد مصادر الاستبداد العائق للتقدم

وهكذا يواصلُ الدباغ، فى كتابه الجديد، السير فى طريق لا خيار لمن يأملون فى مستقبل أفضل إلا الإصرار على المضى فيها، لأن الإرث الاستبدادى لبعض التفسيرات الدينية مازال حاضرًا كما كان حين أوضحه الجاحظ فى كتاب (التاج فى أخلاق الملوك) ولخصه فى جملةٍ رشيقةٍ وعميق معناها عن السلطان الذى (إن أمكنه التفرد بالماء والهواء لا يُشركُ فيهما أحدًا، فإن البهاء والعزة والأبهة فى التفرد)